

الرقمنة في العلوم الإنسانية والاجتماعية: آفاق التكامل، معضلة التجريد وإشكالات الاختزال

Digitalization in the Humanities and Social Sciences: Prospects for Integration, the Dilemma of Abstraction, and the Challenges of Reduction

د. قاسمي الحسني عبد المجيد

جامعة البليدة 2 – لونيسي علي (الجزائر)

ea.gasmi-lahasseni@univ-blida2.dz

تاريخ الإرسال: 2025/03/08 تاريخ القبول: 2025/04/22 تاريخ النشر: 2025/06/30

Abstract:

الملخص:

This study aims to reveal the impact of digitization on the fields of humanities and social sciences, as well as the methodological challenges it imposes, including research neutrality and transformations in the academic process.

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن تأثير الرقمنة على ميادين العلوم الإنسانية والاجتماعية، وكذا التحديات المنهجية التي تفرضها بما في ذلك حيادية البحث والتحويلات في العملية الأكاديمية.

The study concluded that adopting digital approaches in the social sciences may lead to a reductionist tendency, reducing human phenomena to quantitative data and mathematical equations, without taking into account the cultural and psychological complexities that influence social behavior. The research stresses the importance of balancing digital and traditional approaches to achieve a deeper, more holistic understanding of social reality without losing the essence of human analysis.

خلصت الدراسة إلى أن اعتماد المناهج الرقمية في العلوم الاجتماعية قد يؤدي إلى نزعة اختزالية، تختزل الظواهر الإنسانية في بيانات كمية ومعادلات حسابية، دون الأخذ بعين الاعتبار التعقيدات الثقافية والنفسية التي تؤثر في السلوك الاجتماعي. ويؤكد البحث على ضرورة الدمج المتوازن بين المناهج الرقمية والتقليدية لضمان فهم شامل ومعمق للواقع الاجتماعي دون الإخلال بجوهر التحليل الإنساني.

Keywords : Digitalization, humanities, epistemic reductionism, research methodologies, methodological integration.

الكلمات المفتاحية: الرقمنة، العلوم الإنسانية، الاختزال المعرفي، المناهج البحثية، التكامل المنهجي.

* المؤلف المرسل

1- مقدمة

أصبحت الرقمنة جزءاً أساسياً من تطور العلوم الإنسانية والاجتماعية، حيث وُقرت أدوات جديدة للبحث والتحليل وساهمت في تسهيل الوصول إلى المعلومات، فقد مكنت التقنيات الرقمية الباحثين من تحليل كميات هائلة من البيانات في وقت قصير، مما أدى إلى تحسين دقة الدراسات وإتاحة رؤى جديدة حول الظواهر الاجتماعية والثقافية، لكن في المقابل، يطرح الاعتماد المتزايد على الأدوات الرقمية إشكالات مهمة، تتعلق بمدى قدرة هذه الأدوات على استيعاب التعقيد الإنساني في الظواهر الاجتماعية. فالبيانات الرقمية والخوارزميات قد تقدم تحليلات كمية دقيقة، لكنها في بعض الأحيان تغفل الجوانب القيمة والثقافية التي لا يمكن قياسها بالأرقام وحدها. كما أن الرقمنة أثرت بشكل كبير على طريقة دراسة التفاعل الاجتماعي، حيث أصبح التواصل الرقمي يحتل مكانة مركزية في الحياة اليومية، غير أن هذا التحول يثير تساؤلات حول مدى تأثيره على العلاقات الاجتماعية الحقيقية، وما إذا كان يساهم في تعزيز التفاعل أم يؤدي إلى عزله عن الواقع الفعلي، إضافة إلى ذلك، هناك مخاوف من أن تؤدي الرقمنة إلى إضعاف المناهج التقليدية التي تعتمد على التحليل النقدي والملاحظة المباشرة. فقد أصبح بعض الباحثين يعتمدون على البيانات الضخمة دون العودة إلى الأساليب التقليدية لفهم السياقات الاجتماعية، مما قد يؤدي إلى نتائج غير متوازنة أو مشوهة، من جهة أخرى، يُنظر إلى التحليل الرقمي على أنه أكثر موضوعية وحيادية، لكنه في الواقع قد يكون منحازاً بسبب الخوارزميات التي تُصمم وفق توجهات معينة، وهذا يفرض الحاجة إلى مراجعة نقدية لطريقة استخدام الأدوات الرقمية في البحث، لضمان إنتاج معرفة أكثر دقة وإنصافاً، ففي ظل هذه التحديات، يصبح من الضروري البحث عن منهجية متوازنة تجمع بين الأدوات الرقمية والمناهج التقليدية، فالتكامل بين التحليل الكمي والنوعي يمكن أن يساهم في تحقيق فهم أكثر شمولية للظواهر الإنسانية، دون فقدان البعد القيمي والتفسيري الذي يميز العلوم الاجتماعية، وبناءً على ذلك، تطرح الدراسة تساؤلات محورية حول مستقبل الرقمنة في العلوم الإنسانية: كيف يمكن الاستفادة من التقنيات الرقمية دون الوقوع في فخ الاختزال المعرفي؟ وهل يمكن تحقيق تكامل حقيقي بين الأدوات الرقمية والمقاربات التقليدية لضمان دراسة الظواهر الاجتماعية بأسلوب أكثر دقة وإنسانية؟ وإلى أي مدى يمكن أن تساهم الرقمنة في تطوير العلوم الإنسانية والاجتماعية دون أن تؤدي إلى تجريد موضوعاتها من بعدها الإنساني؟ وما هي السبل الكفيلة بتحقيق تكامل بين المناهج الرقمية والمقاربات التقليدية في البحث الاجتماعي؟

2- الضرورة التقنية وإشكالات التجريد الإنساني

شهدت العقود الأخيرة تحولاً جذرياً في بنية البحث الأكاديمي والممارسات المعرفية بفعل الرقمنة، حيث تسارعت وتيرة توظيف التكنولوجيا في مختلف الحقول العلمية، بما في ذلك العلوم الإنسانية والاجتماعية، فبالرغم مما تنتجه الرقمنة من فرص هائلة في تسهيل عمليات البحث والتحليل وتوسيع نطاق الوصول إلى المعارف، إلا أنها تطرح العديد من التحديات، خاصة عندما تُنقل النماذج التقنية الخاصة بالعلوم الدقيقة إلى مجال العلوم الإنسانية دون مراعاة خصوصياته، خاصة بالاعتماد المفرط على الأدوات الرقمية، مثل تحليل البيانات الضخمة والذكاء الاصطناعي، الذي قد يؤدي إلى إفراغ المواضيع الإنسانية من أبعادها القيمة والمعنوية، وتكريس نهج تقني صرف في تحليل الظواهر الاجتماعية والثقافية (درويش، 2021، ص 45)، على شاكلته تقريباً في العلوم الدقيقة، حيث تُوظف الرقمنة بفعالية نظراً لكون هذه العلوم قائمة على معايير كمية ونماذج قابلة للتكرار والتنبؤ، بينما تتسم العلوم الإنسانية والاجتماعية بمروريتها وتعقدها، بطبيعتها أنها تركز على مقاربات تفسيرية وتأويلية تتطلب فهماً عميقاً للسياقات التاريخية والاجتماعية والثقافية، ونتيجة لذلك، فإن

فرض مقاربات رقمية صارمة على الظواهر الاجتماعية قد يؤدي إلى تشويه طبيعتها، عبر تحجيم العوامل الثقافية والنفسية التي تلعب دوراً محورياً في تشكيل السلوكيات البشرية (كاستلز، 2018، ص 67)، كما أن التركيز على تحليل البيانات الضخمة بطرق حسابية قد يختزل الفعل الاجتماعي في معادلات رياضية، متجاهلاً الديناميات الرمزية والتفاعلات الاجتماعية المعقدة (بورديو، 1997، ص 89)، هذا من جهة، ومن جهة أخرى يساهم الطابع الكمي للرقمنة في تكريس نزعة "التحليل عن بعد"، أي معالجة الظواهر الاجتماعية من خلال البيانات الرقمية دون الاحتكاك المباشر بالواقع الاجتماعي، فمثل هذه المقاربات قد تُهمل أهمية الملاحظة الميدانية والمقابلات العميقة، وهي أدوات بحثية ضرورية لفهم الظواهر الإنسانية من الداخل، حيث حذر العديد من الباحثين في سوسيولوجيا المعرفة من خطورة النزعة الاختزالية التي قد تنتج عن هذه التحولات، لأن الاكتفاء بالنماذج الرقمية يخلق فجوة بين الباحث والواقع، مما قد يؤثر سلباً على جودة التحليل العلمي (غيريال، 2020، ص 112)، إضافة إلى ذلك، يؤدي تغليب النهج الرقمي إلى إعادة تشكيل مفاهيم أساسية في العلوم الاجتماعية، مثل الهوية، والسلطة، والاندماج الاجتماعي، حيث باتت هذه المفاهيم تُحلل بناءً على مؤشرات كمية كعدد المتابعين في الفضاء الرقمي، أو مدى انتشار المحتوى الرقمي، بدلاً من النظر إليها بوصفها تجارب إنسانية معقدة تحمل دلالات عميقة، هذا التحول قد يُفضي إلى اختزال العلاقات الاجتماعية في أنماط تواصلية سطحية، مما يؤثر على فهم الباحثين لطبيعة التحولات الاجتماعية الجارية (هارفي، 2019، ص 53)، كما أن الرقمنة تطرح إشكالية "الحياد العلمي"، حيث تفترض بعض المقاربات الرقمية أن المعالجة الحسابية للبيانات أكثر موضوعية ودقة، متجاهلة بذلك أن أي عملية تحليلية تحمل في طياتها تحيزات نظرية وأيديولوجية، فحتى في أكثر النماذج تطوراً، تبقى خوارزميات تحليل البيانات مبنية على فرضيات مسبقة تحدد طريقة تصنيف البيانات وتفسيرها، مما يعني أن الرقمنة لا تلغي الذاتية، بل تعيد إنتاجها في شكل جديد، وهو ما يستوجب مراجعة نقدية مستمرة لهذه الأدوات (فوكو، 1971، ص 134)، وبالرغم من هذا، تظل الرقمنة ضرورة لا يمكن تجاهلها، إذ تتيح للباحثين أدوات تحليل متقدمة تساعدهم على معالجة كميات هائلة من البيانات، كما تساهم في نشر المعرفة وتبادلها على نطاق أوسع، لكن الإشكال يكمن في كيفية تحقيق توازن بين الاستفادة من الإمكانيات الرقمية والحفاظ على جوهر العلوم الإنسانية والاجتماعية بوصفها علوماً تهتم بفهم الإنسان في سياقاته المختلفة، وهنا تبرز الحاجة إلى تطوير نماذج تحليلية جديدة تدمج بين المقاربة الكمية والكيفية، مع مراعاة الأبعاد الثقافية والاجتماعية التي تميز الظواهر الإنسانية (ماركوز، 1964، ص 78).

3- نحو تحقيق تكامل بين التقني والإنساني

مع تزايد الاعتماد على التكنولوجيا الرقمية، برزت مسألة نقل النماذج التحليلية الخاصة بالعلوم الدقيقة إلى العلوم الإنسانية والاجتماعية، ما أدى إلى تغييرات جوهرية في طرائق البحث والتفسير، إذ أصبح تحليل الظواهر الاجتماعية يعتمد بشكل متزايد على الخوارزميات والبيانات الضخمة، مما يعكس نزعة نحو "الأتمتة المعرفية" يقصد بها عملية استخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي والتعلم الآلي للقيام بالعمليات الفكرية والمعرفية التي تتطلب التدخل البشري، حيث ينظر إلى التحليل الرقمي بوصفه أكثر دقة وموضوعية مقارنةً بالأساليب التقليدية، غير أن هذه المقاربة قد تؤدي إلى تجريد المواضيع المدروسة من تعقيداتها الإنسانية، عبر التركيز على الأنماط الرقمية وإغفال السياقات الاجتماعية والثقافية التي تُشكل الفعل الإنساني (كاستلز، 2018، ص 98). فتعميم المنهج الرقمي دون تكييفه مع طبيعة العلوم الاجتماعية يثير إشكالات تتعلق بالقدرة على تفسير المعطيات الرقمية، باعتبار أن البيانات الكمية لا تعكس دائماً الدلالات العميقة للتجربة الإنسانية، كتحليل سلوكيات المستخدمين على وسائل التواصل الاجتماعي من خلال الذكاء الاصطناعي، قد

يُظهر أنماطاً رقمية واضحة، لكنه لا يستطيع تفسير الدوافع النفسية والمعنوية الكامنة وراء تلك السلوكيات (بورديو، 1997، ص 74)، وبالتالي يؤدي التوجه نحو الرقمنة إلى خلق نزعة اختزالية تحصر الظواهر الاجتماعية في أرقام وإحصاءات، مما قد يؤدي إلى تشويه حقيقتها، فالعلوم الاجتماعية تعتمد على التفاعل الإنساني المباشر، وعلى مقاربات كيفية تسعى لفهم المعاني والتأويلات التي يعطيها الأفراد لواقعهم الاجتماعي، غير أن التحليل الرقمي قد يغفل هذه الأبعاد، ويستعيز عنها بأنماط رياضية ومعادلات خوارزمية تعجز عن إدراك التعقيد الإنساني (هارفي، 2019، ص 65)، ففي دراسات علم الاجتماع الرقمي مثلاً، يتم تحليل تفاعلات الأفراد عبر الإنترنت بناءً على عدد الإجابات والمشاركات، لكن هذه البيانات لا تقدم فهماً حقيقياً لمدى تأثير هذه التفاعلات على التكوين الهوياتي للأفراد، أو على ديناميات السلطة داخل المجتمعات الرقمية، هذا الاكتفاء بالنماذج الرقمية قد يحجب أوجهاً مهمة من العلاقات الاجتماعية، خاصة في المجتمعات التي تلعب فيها القيم الثقافية والتقاليد الشفوية دوراً رئيسياً في تشكيل الهويات (درويش، 2021، ص 59)، ما يعبر عن تحولات كبيرة التي أحدثتها الرقمنة في منهجيات البحث الاجتماعي، حيث أصبح تحليل البيانات الضخمة أحد الأدوات الأساسية في دراسة الظواهر المعقدة، ما مكن الباحثين من الوصول إلى كميات هائلة من المعلومات في وقت قصير، إلا أن هذه المقاربة تواجه إشكالات عدة:

- الاعتماد المفرط على البيانات الرقمية قد يؤدي إلى استبعاد المصادر التقليدية للمعلومات مثل الملاحظة الميدانية والمقابلات العميقة، مما يقلل من جودة التحليل السوسيولوجي (غبريال، 2020، ص 83).
- الرقمنة تعيد تشكيل علاقة الباحث بالموضوع المدروس، حيث يصبح التحليل قائماً على التفاعل مع بيانات مُجمعة بدلاً من التفاعل المباشر مع الأفراد والمجتمعات، وهذا قد يؤدي إلى نوع من "الانفصال المعرفي"، حيث يفقد الباحث القدرة على إدراك تعقيدات الواقع الاجتماعي من الداخل، ويصبح معتمداً على ما توفره له الخوارزميات من معطيات جاهزة (فوكو، 1971، ص 152).

إن الاعتقاد السائد بأن التحليل الرقمي يتميز بالحياد والموضوعية، إلا أننا نجد النماذج الرقمية ليست خالية من التحيزات، فالخوارزميات المستخدمة في تحليل البيانات تُصمم بناءً على معايير محددة قد تعكس رؤى وتوجهات معينة، مما يؤدي إلى إنتاج معرفة منحازة، فعلى سبيل المثال، تعتمد بعض منصات التحليل الرقمي على تصنيف المستخدمين وفق معايير ثقافية واقتصادية، مما قد يعزز الصور النمطية حول فئات اجتماعية معينة (ماركوز، 1964، ص 112). كما أن الأنظمة الذكية المستخدمة في تحليل الخطاب الرقمي قد تفرض نوعاً من الرقابة المبطنة، حيث يتم تصنيف المحتوى بناءً على أنماط محددة مسبقاً، مما قد يؤثر على طبيعة المعرفة المنتجة في الفضاء الرقمي، وهذا يطرح تساؤلات حول مدى قدرة الرقمنة على توفير معرفة موضوعية دون أن تتأثر بالخلفيات الفكرية والأيديولوجية لمصمميها؟ (هارفي، 2019، ص 91).

4- بين الرقمنة والمقاربات التقليدية

إن مواجهة التحديات التي تفرضها الرقمنة في العلوم الإنسانية والاجتماعية يتطلب تبنى نهج تكاملي يجمع بين الأدوات الرقمية والمناهج التقليدية. فمن الضروري تطوير مقاربات تحليلية جديدة تستفيد من الإمكانيات التي توفرها الرقمنة، دون أن تفقد القدرة على فهم الظواهر الاجتماعية في سياقاتها الفعلية، حيث يمكن تحقيق هذا التكامل من خلال تعزيز استخدام التحليل المختلط (Mixed Methods) الذي يجمع بين الأساليب الكمية والكيفية، وذلك بالاستفادة من البيانات الضخمة في رصد الاتجاهات العامة، مع دعمها بدراسات ميدانية تفسر الأبعاد الإنسانية لهذه الاتجاهات (درويش،

2021، ص 87)، كما يجب إعادة النظر في تصميم الخوارزميات بحيث تعكس تعددية التجارب الإنسانية، بدلاً من فرض نماذج معيارية قد لا تكون ملائمة لجميع السياقات الاجتماعية، ففي ظل التحولات الرقمية المتسارعة، تواجه العلوم الإنسانية والاجتماعية تحديات جوهرية تتعلق بإعادة تشكيل مناهجها البحثية بما يواكب التطورات التكنولوجية دون التخلي عن الأطر التقليدية التي أثبتت نجاعتها في تحليل الظواهر الاجتماعية. فالرقمنة لم تعد مجرد أداة إضافية في البحث العلمي، بل أصبحت عنصراً فاعلاً يغير طبيعة البيانات وآليات جمعها وتحليلها، لذا، لتجاوز الثنائيات التقليدية بين الرقمي والتناظري (Analog) أو بين الكمي والنوعي يتطلب تبني مقاربة تكاملية تستفيد من الرقمنة مع الحفاظ على العمق التحليلي الذي تتيحه المناهج التقليدية (الشامي، 2022، ص 103)، أو ما يصطلح عليه بالتحليل المختلط (Mixed Methods)، الذي يعد أحد أهم المناهج التي تتيح التكامل بين الرقمنة والمقاربات التقليدية، إذ يسمح بالجمع بين التحليل الكمي الذي يعتمد على البيانات الرقمية، والتحليل الكيفي الذي يوفر تفسيراً معمقاً للظواهر الاجتماعية (درويش، 2021، ص 87)، مثلاً: يمكن استخدام التحليلات الرقمية لرصد الأنماط الكبرى في وسائل التواصل الاجتماعي، ثم دعم هذه النتائج بمقابلات معمقة تكشف عن دلالات هذه الأنماط وسياقاتها الاجتماعية، يتيح هذا المنهج تجاوز إشكالية الفصل بين المناهج، مما يساهم في بناء فهم أكثر شمولية للظواهر الاجتماعية المعاصرة (الطاهر، 2020، ص 56)، وبالتالي يسمح بإمكانية إعادة التفكير في الخوارزميات من منظور العلوم الاجتماعية، باعتبار أن الكثير من التطبيقات الرقمية تعتمد على خوارزميات تحليل البيانات التي تقوم بفرز وتصنيف وتحليل سلوك الأفراد على الإنترنت، إلا أن هذه الخوارزميات غالباً ما تعكس تحيزات مبرمجة ناتجة عن التوجهات الثقافية لمن صمموها (سالم، 2019، ص 132)، لذلك، فإن إدماج المقاربات التقليدية في دراسة آثار الرقمنة يتطلب إعادة النظر في هذه الخوارزميات بحيث تكون أكثر قدرة على استيعاب التنوع الاجتماعي والثقافي، يمكن مثلاً تطوير خوارزميات تحليل الخطاب على وسائل التواصل الاجتماعي بحيث تأخذ في الاعتبار الاختلافات اللغوية والثقافية بدلاً من الاعتماد على نماذج معيارية قد لا تكون ملائمة لجميع المجتمعات (أحمد، 2023، ص 78)، ما يقارب في تحليل هذه البيانات الضخمة (Big Data) بين الكم والتأويل، باعتبار أن الاعتماد عليها يتيح إمكانيات غير مسبقة في دراسة الظواهر الاجتماعية، إلا أن هذه الإمكانيات تظل ناقصة إذا لم تدغم بتحليل نوعي يفسر الدلالات الاجتماعية الكامنة خلف الأرقام، فعلى سبيل المثال، قد تكشف التحليلات الرقمية عن زيادة في عدد التغريدات حول قضية معينة، لكن الفهم العميق لدوافع هذه الزيادة يتطلب تحليلاً كیفياً للنصوص والمقابلات لمعرفة السياقات المحيطة بها (عبد الحميد، 2021، ص 95)، ومن هنا، يصبح التكامل بين الرقمنة والمقاربات التقليدية ضرورياً لتجاوز النظرة الاختزالية التي تفرضها الإحصائيات وحدها، وبالتالي تبرز صورة التكنولوجيا كأداة وليس كبديل عن المناهج التقليدية، فعلى الرغم من أهمية الأدوات الرقمية في تطوير البحث العلمي، إلا أنها لا يمكن أن تحل محل المناهج التقليدية التي تعتمد على الفهم العميق والتأويل السياقي، فالبيانات الرقمية غالباً ما تكون مشوهة أو ناقصة بسبب طبيعة الخوارزميات التي تتحكم في جمعها وتحليلها، مما يستدعي الاعتماد على المناهج الكلاسيكية مثل التحليل الإثنوغرافي لفهم المعاني الضمنية التي لا يمكن استنباطها من الأرقام فقط (السيد، 2020، ص 112)، وبالتالي، فإن الاستخدام الذكي للتكنولوجيا لا يعني التخلي عن المناهج التقليدية، بل الاستفادة منها لتطوير أدوات تحليلية أكثر شمولية، ما يعكس التكامل بين التحليل السردى والنماذج الرقمية، كإحدى القضايا المهمة في هذا السياق الذي يعتمد علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا، فالنماذج الرقمية التي تعتمد على تحليل البيانات النصية آلياً، والرقمنة التي توفر أدوات تحليلية تعتمد على معالجة اللغة الطبيعية (Natural Language Processing)، تظل قاصرة في فهم التعقيدات السردية والتأويلية التي تتطلب تدخلاً بشرياً، لذا، يمكن للباحثين الجمع بين التحليل الآلي للنصوص الضخمة والتحليل السردى التقليدي

لضمان فهم أكثر دقة للظواهر الاجتماعية الرقمية (ناصر، 2021، ص 67)، هنا نشير إلى ضرورة تطوير مناهج بحثية جديدة تجمع بين الرقمي والتقليدي، بطبيعة أن تحقيق التكامل بين الرقمنة والمقاربات التقليدية يتطلب تطوير مناهج بحثية جديدة تستفيد من إمكانيات التكنولوجيا دون أن تفقد الأبعاد التأويلية التي تميز العلوم الاجتماعية، ومن أهم هذه المناهج ما يُعرف بـ "التحليل الهجين"، وهو مقارنة تجمع بين التحليل الإحصائي للبيانات الرقمية والتحليل النقدي للخطابات والسلوكيات الاجتماعية (منصور، 2022، ص 89)، كما يمكن تبني أساليب تحليل متعددة المستويات تتيح الجمع بين تحليل الاتجاهات الرقمية والتحليل العميق لسياقاتها الاجتماعية، حتى لا ينبغي النظر إلى الرقمنة باعتبارها تهديداً للمناهج التقليدية، بل كفرصة لتعزيز البحث العلمي عبر تبني مقاربات تكاملية تستفيد من التكنولوجيا دون أن تفقد البعد الإنساني في التحليل، فالعلوم الإنسانية والاجتماعية تعتمد في جوهرها على فهم المعاني والسياقات، وهو ما لا يمكن تحقيقه من خلال الأرقام والخوارزميات وحدها، ومنه، فإن المستقبل البحثي يكمن في القدرة على دمج الأدوات الرقمية مع المقاربات التقليدية بشكل يضمن دقة التحليل وعمقه في آن واحد (يوسف، 2023، ص 120).

5- أفق البحث الاجتماعي في ظل الرقمنة

في ظل التطورات المتسارعة التي يشهدها العالم الرقمي، فإن مستقبل البحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية سيعتمد على قدرة الباحثين على التكيف مع الأدوات الرقمية دون التخلي عن أسس التحليل السوسيولوجي العميق، فالتحدي الرئيسي يتمثل في كيفية توظيف الرقمنة دون الوقوع في فخ الاختزال والتجريد التقني، فبناء مقارنة نقدية تجاه الرقمنة لا يعني رفضها، بل السعي إلى تطوير استخداماتها بشكل يضمن الحفاظ على البعد الإنساني للعلوم الاجتماعية، وهذا يتطلب إعادة النظر في المناهج التعليمية والبحثية بحيث يتم دمج التحليل الرقمي ضمن رؤية شاملة تأخذ بعين الاعتبار الأبعاد القيمية والثقافية التي تميز المعرفة الإنسانية (غبريال، 2020، ص 134)، انطلاقاً من كل ما سبق، يبرز التساؤل التالي: كيف يمكن تحقيق تكامل فعال بين الرقمنة والمقاربات التقليدية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، بحيث يتم توظيف الأدوات الرقمية دون أن يؤدي ذلك إلى اختزال الظواهر الإنسانية في معطيات تقنية مجردة، بفعل التحولات الكبرى في البحث الاجتماعي الناتجة عن الرقمنة، هذه الأخيرة فرضت نفسها كأداة تحليلية ومنهجية جديدة تتيح للباحثين إمكانيات واسعة في دراسة الظواهر الاجتماعية، ومع ذلك، فإن هذه التغيرات تطرح أسئلة جوهرية حول مدى قدرة الأدوات الرقمية على تقديم فهم عميق للسلوكيات البشرية، خاصة أن العلوم الاجتماعية تعتمد في جوهرها على التفسير والتأويل وليس فقط على تحليل البيانات الكمية، وبالتالي يواجه الباحثون اليوم تحدياً كبيراً في كيفية تبني الأدوات الرقمية دون الوقوع في فخ الاختزال التقني، حيث قد يؤدي الإفراط في الاعتماد على البيانات الضخمة والتحليل الإحصائي إلى تهميش الجوانب القيمية والثقافية التي تشكل أساس الظواهر الاجتماعية (غبريال، 2020، ص 134).

لم يعد البحث الاجتماعي يعتمد فقط على الاستبيانات التقليدية والمقابلات العميقة، بل أصبحت تقنيات مثل تحليل الشبكات الاجتماعية، والتنقيب في البيانات الضخمة، والتعلم الآلي، أدوات رئيسية لفهم الاتجاهات الاجتماعية، هذه التقنيات تقدم رؤى جديدة حول كيفية تشكل العلاقات الاجتماعية، وتساعد في تحليل أنماط السلوك البشري على نطاق واسع لم يكن متاحاً من قبل (كاستلز، 2019، ص 87)، وبذلك، فإن التوسع في هذه الأدوات قد يدفع بعض الباحثين إلى إهمال المقاربات الكيفية التي تتطلب تفاعلاً مباشراً مع الأفراد، مما يحدّ من إمكانية فهم السياقات الثقافية والنفسية العميقة التي تحكم الظواهر الاجتماعية، مع ما تنبئه الرقمنة للباحثين أدوات متقدمة لتحليل الظواهر الاجتماعية بدقة متناهية، حيث يمكن رصد تفاعلات الملايين من الأفراد عبر المنصات الرقمية في الوقت

الحقيقي، مما يساعد على الكشف عن الأنماط الاجتماعية الناشئة، على سبيل المثال، يمكن من خلال تحليل البيانات المستمدة من وسائل التواصل الاجتماعي قياس التغيرات في الرأي العام حول القضايا السياسية أو الاجتماعية (راين، 2021، ص 45)، كما يمكن استخدام تقنيات التعلم الآلي لتحديد الاتجاهات العامة للسلوكيات الاستهلاكية، مما يفتح آفاقاً جديدة للبحث في مجالات مثل علم الاجتماع الاقتصادي والأنثروبولوجيا الرقمية، لكن رغم الفوائد الكبيرة التي توفرها الأدوات الرقمية، إلا أن هناك خطراً يتمثل في اختزال الظواهر الاجتماعية إلى مجرد بيانات كمية، فالسلوك الإنساني ليس مجرد أرقام وإحصاءات، بل هو ناتج عن عمليات معقدة تتداخل فيها العوامل الثقافية، النفسية، والتاريخية، فعندما يعتمد البحث الاجتماعي على تحليل البيانات فقط دون مراعاة السياقات الإنسانية، فإنه يفقد قدرته على تقديم تفسيرات شاملة وعميقة (غبريال، 2020، ص 138)، وعليه فإن استخدام الرقمنة يجب أن يكون مكملاً وليس بديلاً عن التحليل النوعي الذي يسمح بفهم أبعاد الظواهر الاجتماعية بشكل متكامل، أي دمج التحليل الرقمي مع المناهج التقليدية في البحث الاجتماعي لتحقيق أقصى استفادة من الرقمنة، دون التفريط في الأبعاد التقليدية للبحث الاجتماعي، حيث يجب تبني نهج تكاملي يجمع بين التحليل الكمي والنوعي، فمثلاً، يمكن استخدام أدوات تحليل البيانات لتحديد الاتجاهات الكبرى، ومن ثم الاعتماد على المقابلات والبحوث الميدانية لفهم الأسباب والدوافع الكامنة وراء هذه الاتجاهات (بيير، 2018، ص 92)، هذه المقاربة المزدوجة تعزز من قدرة الباحثين على تقديم رؤى متوازنة لا تقتصر على الأرقام، بل تشمل أيضاً التفسيرات الاجتماعية والنفسية التي تعطي لهذه الأرقام معناها الحقيقي، رغم هذا، إلا أن أثر الرقمنة على مناهج التدريس في العلوم الاجتماعية بارز، باعتبار أنها فرضت تحديات جديدة على المؤسسات الأكاديمية، حيث أصبح من الضروري تحديث المناهج الدراسية لتشمل المهارات الرقمية التي يحتاجها الباحثون في العصر الحديث، فبدلاً من الاقتصار على المناهج التقليدية التي تركز على التحليل النصي والمقارن، يجب أن يتلقى الطلاب تدريبات على استخدام البرمجيات الإحصائية، وأدوات تحليل البيانات الضخمة، وتقنيات الذكاء الاصطناعي في البحث الاجتماعي (هارفي، 2020، ص 76)، ومع ذلك، ينبغي أن يتم ذلك بطريقة متوازنة بحيث لا يتم استبدال أسس البحث النقدي بمناهج تعتمد فقط على التحليل الكمي، مما يحافظ على البعد الفلسفي والتأويلي للعلوم الاجتماعية، ما يرفع تحديات أخلاقية للبحث الاجتماعي في العصر الرقمي كأحد أبرز القضايا التي يثيرها استخدام الرقمنة في هذا المجال، حيث إن جمع وتحليل البيانات الرقمية يثير مخاوف تتعلق بالخصوصية وحماية المعلومات الشخصية، فمع تزايد الاعتماد على تحليل البيانات المستمدة من وسائل التواصل الاجتماعي، بات من الضروري وضع ضوابط أخلاقية تضمن عدم استغلال هذه البيانات بطرق تنتهك حقوق الأفراد (كاستلر، 2019، ص 91)، ومن هنا، فإن الباحثين ملزمون بتطوير منهجيات توازن بين تحقيق الأهداف البحثية واحترام المبادئ الأخلاقية التي تحكم البحث العلمي، باعتبار أن الرقمنة لا تلغي البعد الإنساني في تحليل البيانات الاجتماعية، هذا الأخير على الرغم من التقدم الهائل الذي حققته الأدوات الرقمية في البحث الاجتماعي، إلا أنه يظل عاملاً لا يمكن إغفاله، فالظواهر الاجتماعية لا تُفهم فقط من خلال تحليل الأنماط الإحصائية، بل تحتاج إلى مقاربات تعتمد على التفاعل المباشر مع الأفراد لفهم معانيهم ودوافعهم الداخلية (غبريال، 2020، ص 141)، لذا، يجب أن يكون البحث الاجتماعي الرقمي مدعوماً بآليات تحليلية تضمن عدم فقدان العمق الإنساني أثناء دراسة الظواهر الاجتماعية، خاصة مستقبلاً في ظل التوسع الرقمي، إذ يمثل هذا العصر الرقمي فرصة غير مسبوقة للباحثين لاستكشاف ظواهر اجتماعية جديدة، لما توفره الرقمنة من إمكانيات هائلة لفهم المجتمعات بطرق أكثر دقة، إلا أن مستقبل البحث الاجتماعي يبقى يعتمد على قدرة الباحثين على الجمع بين التكنولوجيا والتحليل النقدي، بحيث يتم استخدام الأدوات الرقمية بطريقة تعزز من فهمنا للمجتمع بدلاً من أن تخلق صورة مشوهة عن الواقع (بيير، 2018، ص 97). ومن هنا، فإن التحدي يكمن في تطوير استراتيجيات بحثية تأخذ

في الاعتبار كل من الإمكانيات التقنية والأبعاد القيمية والثقافية، تصبوا نحو الوصول إلى تكامل حقيقي بين الرقمنة والمقاربات التقليدية، حيث أصبح من الضروري إعادة التفكير في مناهج البحث الاجتماعي بطريقة تحقق التكامل بين الحداثة التكنولوجية وأساليب التحليل التقليدية، فبدلاً من النظر إلى الرقمنة باعتبارها تهديداً، يمكن توظيفها كأداة داعمة تعزز من قدرة الباحثين على فهم الظواهر الاجتماعية بطريقة أكثر شمولية. ومع ذلك، يظل الحفاظ على البعد الإنساني والتحليل النقدي أمراً جوهرياً لضمان أن تظل العلوم الاجتماعية وفية لجوهرها القائم على الفهم العميق للسلوك البشري وعلاقاته المعقدة (هارفي، 2020، ص 80).

6- تأثير الرقمنة على إنتاج المعرفة في العلوم الإنسانية والاجتماعية

لقد ساهمت الرقمنة في إحداث تغييرات جوهريّة في كيفية إنتاج المعرفة في العلوم الإنسانية والاجتماعية، حيث باتت المنصات الرقمية والخوارزميات الذكية تُحدد إلى حدّ كبير طبيعة المواضيع البحثية واتجاهات التحليل، هذه التغييرات تثير تساؤلات حول مدى استقلالية المعرفة الإنسانية في ظل هذه البيئة الرقمية، خصوصاً عندما تكون عمليات البحث العلمي خاضعة لتوجهات خوارزمية تحدد المحتوى الأكثر رواجاً وانتشاراً، مما قد يؤدي إلى إهمال قضايا جوهريّة لا تتوافق مع منطق الشهرة الرقمية (كاستلز، 2018، ص 176)، بالإضافة إلى ذلك، فإن الذكاء الاصطناعي والبيانات الضخمة أصبحا يلعبان دوراً متزايداً في تحليل الظواهر الاجتماعية، وهو ما قد يؤدي إلى نوع من "التشبيّه المعرفي"، حيث يتم التعامل مع الأفراد باعتبارهم مجرد بيانات رقمية قابلة للتصنيف والمعالجة الإحصائية، في هذا السياق، يتم تهميش الطابع الديناميكي والمتغير للظواهر الاجتماعية، لصالح مقاربات تعتمد على الأنماط السلوكية المتكررة، دون مراعاة السياقات الثقافية والخصوصيات التاريخية التي تشكلها (درويش، 2021، ص 104)، بالخصوص فيما يتعلق بمسألة إعادة تشكيل الهوية الفردية والجماعية في الفضاء الرقمي، والذي يعد من بين القضايا المحورية التي تطرحها الرقمنة في العلوم الاجتماعية، حيث بات الأفراد يعيدون بناء ذواتهم وهوياتهم من خلال الفضاء الرقمي، فالتفاعلات الافتراضية لم تعد مجرد امتداد للحياة الواقعية، بل أصبحت فضاءً مستقلاً يتداخل مع الواقع بطرق معقدة، مما يعيد تشكيل الهويات الفردية والجماعية، غير أن هذه العملية لا تخلو من مخاطر، إذ أن الرقمنة قد تؤدي إلى خلق هويات رقمية "مفلترة"، يتم تشكيلها بناءً على الخوارزميات التي تحدد أنماط التفاعل والتعبير عن الذات (بورديو، 1997، ص 88)، كما أن الفضاء الرقمي يوفر بيئة تفاعلية ديناميكية تسمح للأفراد بإعادة صياغة علاقاتهم الاجتماعية وفقاً لقواعد جديدة، غير أن هذه العلاقات تكون في كثير من الأحيان سطحية أو محكومة بخوارزميات تُوجه طبيعة التفاعل، مثلاً، تؤدي أنظمة التوصية في وسائل التواصل الاجتماعي إلى خلق "فقاعات معرفية"، حيث يتعرض الأفراد إلى محتوى متجانس يعكس فقط آرائهم المسبقة، مما قد يُضعف القدرة على الانفتاح على وجهات نظر مختلفة (ماركوز، 1964، ص 135)، وبالتالي فالرقمنة أفضت إلى إعادة تشكيل المجال العام، حيث أصبحت المنصات الرقمية تشكل فضاءً رئيسياً للنقاش العام وصياغة الرأي الجماعي، غير أن هذا التحول يثير إشكاليات تتعلق بتوزيع السلطة في المجال الرقمي، إذ لم يعد الفضاء العام متاحاً للجميع بنفس القدر، بل أصبح خاضعاً لقوانين المنصات الكبرى التي تمتلك القدرة على توجيه تدفق المعلومات والتحكم في ظهورها وانتشارها (هارفي، 2019، ص 147)، فالخوارزميات التي تعتمد على شبكات التواصل الاجتماعي مثلاً، تحدد أي القضايا تكتسب زخماً وأيهما يتم تهميشها، مما قد يؤدي إلى تقييد النقاشات العامة وجعلها تتبع توجهات معينة تحددها الشركات التكنولوجية الكبرى، وعليه، فإن الانتقال من الفضاءات التقليدية للحوار العام (مثل الصحافة والمؤسسات الأكاديمية) إلى الفضاء الرقمي، لم يكن مجرد تحول في الوسائط، بل كان أيضاً تحولاً في آليات إنتاج السلطة وتوجيه الخطاب العام (فوكو، 1971، ص 168)، من جهة أخرى، تؤدي

الرقمنة إلى تغييرات عميقة في التفاعلات الاجتماعية، حيث أصبح للأفراد حضور رقمي قد يفوق أحياناً حضورهم الواقعي، كما أن الآليات الرقمية باتت تفرض إيقاعاً جديداً على الحياة الاجتماعية، قائماً على السرعة والتفاعل الفوري، وهو ما قد يؤدي إلى أشكال جديدة من القلق والتوتر المرتبطين بالإفراط في الاستخدام الرقمي (غبريال، 2020، ص 120)، فهيمنة الفضاء الرقمي على الحياة الاجتماعية قد تؤدي إلى تفكيك بعض الروابط الاجتماعية التقليدية، حيث أصبحت العلاقات الرقمية بديلاً عن التفاعل المباشر، مما قد يعزز الشعور بالاغتراب الاجتماعي، ففي المجتمعات التي تعتمد على التفاعل الشفوي والعلاقات الاجتماعية القوية، قد يؤدي هذا التحول إلى تغييرات جوهرية في البنية الثقافية والاجتماعية (درويش، 2021، ص 114)، ما يوجب المناداة برؤية متوازنة للرقمنة في العلوم الإنسانية والاجتماعية، إن استيعابها يتطلب تجاوز الطرح الثنائي الذي يرى فيها إما فرصة غير مسبوقة للتطور، أو تهديداً خطيراً لهوية هذه العلوم، فالحل يكمن في تبني مقاربة نقدية تأخذ بعين الاعتبار الإمكانيات التي توفرها الرقمنة، دون الوقوع في فخ الاختزال التقني، الذي يتطلب تطوير أدوات منهجية جديدة تجمع بين التحليل الرقمي والمقاربات التقليدية، بحيث يتم الاستفادة من البيانات الضخمة والذكاء الاصطناعي دون التخلي عن أهمية البحث الميداني والتفاعل المباشر مع الواقع الاجتماعي، كما أن هذا التكامل يتطلب إعادة النظر في سياسات البحث العلمي، بحيث يتم وضع معايير واضحة لاستخدام الأدوات الرقمية بشكل يضمن الحفاظ على البعد الإنساني في التحليل الاجتماعي (كاستلر، 2018، ص 210).

7- تأثير الرقمنة على مناهج البحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية

أدت الرقمنة إلى ظهور مناهج بحثية جديدة في العلوم الإنسانية والاجتماعية، حيث بات الباحثون يعتمدون بشكل متزايد على تحليل البيانات الضخمة، وتقنيات الذكاء الاصطناعي، والنمذجة الرقمية لفهم الظواهر الاجتماعية، ومع ذلك، يثير هذا التحول تساؤلات حول مدى ملائمة هذه الأدوات للمناهج الكيفية والتفسيرية التي طالما ميزت العلوم الإنسانية، فبينما تعتمد العلوم الدقيقة على الدقة الكمية والنمذجة الرياضية، تركز العلوم الاجتماعية على فهم المعاني والدوافع الإنسانية، وهو ما يجعل تعميم الأساليب الرقمية عليها تحدياً منهجياً كبيراً (كاستلر، 2018، ص 214)، فمثلاً، يستخدم الباحثون اليوم تحليل المحتوى الآلي لاستخراج الأنماط من النصوص والوسائط الرقمية، إلا أن هذه الأساليب قد تعجز عن فهم السياقات الثقافية والمعاني الضمنية التي لا يمكن اختزالها في أنماط رياضية، كما أن استخدام الخوارزميات في تحليل الظواهر الاجتماعية قد يؤدي إلى تحيزات معرفية، حيث إن البيانات المدخلة غالباً ما تعكس انحيازات المجتمع نفسه، مما قد يؤدي إلى استنتاجات مضللة أو غير مكتملة (درويش، 2021، ص 127)، وتتلخص الإشكالات المنهجية للرقمنة في العلوم الإنسانية والاجتماعية في الآتي:

- **الذكاء الاصطناعي وإشكالية الحياد في العلوم الاجتماعية:** يروج البعض لفكرة أن الذكاء الاصطناعي يمكن أن يكون أداة موضوعية لتحليل المجتمعات، نظراً لقدرته على معالجة كميات هائلة من البيانات دون تدخل بشري مباشر، غير أن هذا الطرح يتجاهل حقيقة أن هذه الأنظمة تُبنى استناداً إلى بيانات تاريخية قد تكون متحيزة، مما يجعل مخرجاتها امتداداً لهذه التحيزات، حيث أظهرت دراسات عديدة أن خوارزميات الذكاء الاصطناعي المستخدمة في التوظيف أو تصنيف الأخبار تميل إلى إعادة إنتاج أنماط التمييز العنصري أو الطبقي الموجودة في المجتمعات (هارفي، 2019، ص 165)، ففي العلوم الاجتماعية يطرح هذا الإشكال تحدياً أخلاقياً، حيث قد تؤدي الأتمتة المفرطة إلى تهميش البعد الإنساني في البحث، وتحويل الأفراد إلى مجرد بيانات قابلة للتصنيف والمعالجة الرقمية، وهذا ما يجعل من الضروري تطوير مقاربات نقدية تضمن الاستخدام المسؤول

للذكاء الاصطناعي، بحيث يكون أداة مساعدة للباحثين بدلاً من أن يحل محلهم (غريال، 2020، ص 133).

- **التفكير الرقمي للزمن والمكان في التحليل السوسيولوجي:** لقد أحدثت الرقمنة تغييراً جوهرياً في مفاهيم الزمن والمكان، حيث أصبح الأفراد يعيشون في بيئة "متزامنة" إلى حد كبير، بفعل الاتصال المستمر عبر الإنترنت، مقارنةً بالسابق أين كانت العلاقات الاجتماعية تتشكل ضمن أطر زمنية ومكانية محددة، بينما اليوم أصبحت هذه الحدود أكثر ضبابية، حيث يمكن للمرء أن يكون حاضراً رقمياً في أماكن متعددة في الوقت نفسه، دون أن يكون حاضراً مادياً بالضرورة (بورديو، 1997، ص 94)، هذا التحول يثير في السياق السوسيولوجي تساؤلات حول كيفية إعادة تعريف العلاقات الاجتماعية في العصر الرقمي؟ وهل يؤدي الاتصال المستمر إلى تعزيز الترابط الاجتماعي أم أنه يخلق علاقات سطحية تفتقد للعمق؟ وكيف يؤثر هذا التغيير على الهوية والانتماء؟ تشير بعض الدراسات إلى أن الأفراد أصبحوا يعيشون "ازدواجية الوجود"، حيث يتفاعلون وفقاً لهويتين مختلفتين: إحداهما رقمية والأخرى مادية، وهو ما يؤدي أحياناً إلى انفصال بين العالمين، خاصة عندما تتباين القيم والسلوكيات في كل منهما (ماركوز، 1964، ص 142).

- **الاقتصاد الرقمي وإعادة هيكلة الطبقات الاجتماعية:** أدى صعود الاقتصاد الرقمي إلى ظهور أشكال جديدة من عدم المساواة، حيث باتت الفجوة الرقمية تحدد بشكل متزايد فرص الأفراد في الوصول إلى الموارد والخدمات. فبينما أتاحت الرقمنة فرصاً غير مسبوقة للابتكار والتوظيف، فإنها أيضاً ساهمت في تعزيز الفوارق الاجتماعية، حيث إن من يمتلكون مهارات رقمية متقدمة أصبحوا يتمتعون بفرص أفضل في سوق العمل، بينما يواجه من يفتقرون إلى هذه المهارات خطر التهميش الاقتصادي (كاستلز، 2018، ص 223)، في هذا السياق، تتجلى إشكالية "البروليتاريا الرقمية"، حيث يعمل الملايين من الأشخاص في وظائف رقمية غير مستقرة، مثل العمل عبر المنصات الرقمية، دون حقوق عمل واضحة أو ضمانات اجتماعية، وقد أدى ذلك إلى إعادة تشكيل مفهوم الطبقة الاجتماعية في العصر الرقمي، حيث لم تعد الفوارق تُقاس فقط بالمستوى التعليمي أو الثروة، بل أيضاً بالقدرة على التكيف مع التحولات التكنولوجية (هارفي، 2019، ص 175).

- **رقمنة إنسانية كمقترح للمواءمة بين التكنولوجيا والعلوم الاجتماعية:** لمواجهة التحديات التي تطرحها الرقمنة في العلوم الاجتماعية، من الضروري تبني مقاربة توازن بين الاستفادة من التكنولوجيا والحفاظ على الطابع النقدي والإنساني لهذه العلوم. يمكن تحقيق ذلك من خلال:

- إعادة تأهيل المناهج البحثية بحيث تستفيد من الأدوات الرقمية دون التخلي عن التحليل النقدي والتأويلي.
- تعزيز التفكير النقدي في تحليل البيانات الضخمة، بحيث لا يُنظر إلى البيانات الرقمية كمصدر "محايد"، بل كمنتج ثقافي يجب إخضاعه للفحص النقدي.
- دمج العلوم الإنسانية مع علوم الحاسوب، بحيث يتم تطوير أدوات تحليل رقمي تراعي التعقيد الإنساني، بدلاً من تطبيق نماذج العلوم الدقيقة بحرفيتها على الظواهر الاجتماعية.
- إرساء أخلاقيات رقمية واضحة، تضمن استخدام التكنولوجيا في البحث العلمي بطرق مسؤولة تتجنب التحيزات والإقصاء الرقمي.

في ضوء التحولات الرقمية المتسارعة، أصبح من الضروري إعادة التفكير في منهجيات البحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، بما يضمن الاستفادة من الأدوات الرقمية دون التقريط في الأبعاد القيمة والتأويلية التي تشكل جوهر هذه العلوم. فالرقمنة على رغم ما توفره من إمكانيات تحليلية متقدمة، تطرح تحديات منهجية وأخلاقية تتطلب استجابات علمية مدروسة توازن بين الحداثة التكنولوجية والعمق التحليلي، حيث أظهرت هذه المساهمة أن اعتماد المناهج الرقمية في العلوم الاجتماعية قد يؤدي إلى نزعة اختزالية، تختزل الظواهر الإنسانية في بيانات كمية ومعادلات حسابية، دون الأخذ بعين الاعتبار التعقيدات الثقافية والنفسية التي تؤثر في السلوك الاجتماعي. فرغم أن تحليل البيانات الضخمة والذكاء الاصطناعي يساعدان في كشف الأنماط العامة، إلا أنهما قد يعجزان عن تقديم تفسيرات معمقة للمعاني والدلالات الكامنة خلف هذه الأنماط، كما أن توسع الرقمنة أدى إلى إحداث تغييرات جوهرية في طبيعة التفاعل الاجتماعي، حيث أصبحت العلاقات الرقمية تفرض نفسها كبديل عن التفاعل المباشر، مما قد يؤثر على البنية الاجتماعية والهوية الثقافية للأفراد. فالتفاعلات الرقمية وإن كانت توفر فضاءً جديداً للتواصل، إلا أنها قد تساهم أيضاً في إنتاج أشكال جديدة من العزلة الاجتماعية، وتقليص فرص التفاعل الإنساني العميق، إضافة إلى ذلك، تطرح الرقمنة إشكالية "الحياد العلمي"، حيث يُنظر إلى التحليل الرقمي بوصفه أكثر موضوعية ودقة، في حين أن الخوارزميات المستخدمة في تحليل البيانات غالباً ما تحمل تحيزات معرفية ناتجة عن التوجهات الفكرية لمصمميها. وهو ما يجعل من الضروري تطوير مقاربات نقدية تفحص هذه الخوارزميات، وتضمن أن تكون نتائج التحليل الرقمي أكثر شمولية وإنصافاً، وفي هذا السياق، يبدو أن الحل يكمن في تبني منهجية بحثية تكاملية تجمع بين المناهج الرقمية والتحليل الكيفي والتأويلي، بحيث يتم استخدام البيانات الضخمة وأدوات الذكاء الاصطناعي كمكملات للمناهج التقليدية، وليس كبديل عنها، فالجمع بين الأساليب الكمية والنوعية يتيح للباحثين فهماً أكثر شمولية للظواهر الاجتماعية، يمكنهم من تحقيق توازن بين دقة التحليل وإدراك السياقات الاجتماعية والثقافية التي تشكل الظواهر المدروسة، كما ينبغي أن تترافق هذه التحولات مع إعادة النظر في المناهج الأكاديمية وأساليب التدريس، بحيث يتم دمج المهارات الرقمية ضمن التكوين الجامعي، مع التركيز على تطوير قدرات التحليل النقدي لدى الباحثين. فالرقمنة ليست مجرد أداة تقنية، بل هي تحول معرفي يستوجب مقاربات جديدة تعيد تعريف العلاقة بين الباحث والبيانات والمجتمع، إلى جانب ذلك لا يمكن إغفال البعد الأخلاقي لاستخدام الأدوات الرقمية في البحث العلمي، إذ يجب وضع معايير واضحة تضمن احترام الخصوصية، وتجنب إساءة استخدام البيانات الرقمية بطرق قد تؤثر سلباً على الأفراد والمجتمعات، فالتحليل الرقمي رغم إمكانياته الهائلة، لا ينبغي أن يتحول إلى وسيلة لرصد السلوكيات والتلاعب بها، بل يجب أن يبقى أداة لتعميق الفهم وتعزيز المعرفة الإنسانية، وفي النهاية، تمثل الرقمنة فرصة هائلة لتطوير البحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، لكنها في الوقت ذاته تفرض تحديات جوهرية تتطلب التعامل معها بوعي نقدي وتكاملي، فمستقبل هذه العلوم يعتمد على مدى قدرة الباحثين على دمج الأدوات الرقمية مع المناهج التقليدية، بحيث يتم تحقيق الاستفادة القصوى من الرقمنة دون فقدان الطابع الإنساني الذي يميز العلوم الاجتماعية عن غيرها من المجالات المعرفية.

- قائمة المراجع

- درويش، سامي. (2021). التكنولوجيا والعلوم الإنسانية: مقاربات نقدية. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- كاستلز، مانويل. (2018). شبكات الأمل والسلطة: عصر المعلوماتية والمجتمع الرقمي. بيروت: المنظمة العربية للترجمة.
- بورديو، بيبير. (1997). علم الاجتماع: قضايا ومفاهيم أساسية. الدار البيضاء: أفريقيا الشرق.
- غبريال، حنا. (2020). المناهج الرقمية والعلوم الاجتماعية: إشكالات ونقد. القاهرة: دار الفكر العربي.
- هارفي، ديفيد. (2019). الحداثة وما بعد الحداثة في علم الاجتماع الرقمي. لندن: دار روتليدج.
- فوكو، ميشيل. (1971). نظام الخطاب. بيروت: دار الطليعة.
- ماركوز، هربرت. (1964). الإنسان ذو البعد الواحد. بيروت: دار الطليعة.
- الشامي، حسن. (2022). الرقمنة والعلوم الاجتماعية: تحديات وتكامل. بيروت: دار النهضة.
- الطاهر، سامي. (2020). مناهج البحث المختلط في العلوم الاجتماعية. تونس: الجامعة التونسية.
- سالم، فاطمة. (2019). تحيزات الخوارزميات وتأثيرها على تحليل البيانات الرقمية. بيروت: مركز الدراسات الرقمية.
- أحمد، محمود. (2023). التحليل الرقمي للخطاب: مقاربة نقدية. القاهرة: دار الفكر.
- عبد الحميد، مصطفى. (2021). البيانات الضخمة وتحليل الاتجاهات الاجتماعية. عمان: دار الجيل.
- السيد، عمر. (2020). التكنولوجيا والمناهج التقليدية في البحث الاجتماعي. بيروت: المركز العربي.
- ناصر، أحمد. (2021). التكامل بين التحليل السردى والنماذج الرقمية. بيروت: دار المعارف.
- منصور، خالد. (2022). التحليل الهجين في العلوم الاجتماعية. الجزائر: دار الهدى.
- يوسف، محمد. (2023). رؤية جديدة للبحث العلمي في العصر الرقمي. عمان: دار الفكر العربي.
- راين، ب. (2021). وسائل التواصل الاجتماعي وتحليل البيانات. شيكاغو: مطبعة العلوم الاجتماعية.
- بيبير، م. (2018). الرقمنة والتغيرات في البحث الاجتماعي. بيروت: دار النهضة.
- هارفي، ج. (2020). المناهج البحثية الرقمية في العلوم الاجتماعية. نيويورك: جامعة أكسفورد.
- درويش، أيمن. (2021). البحث المختلط: المنهج والتطبيقات. القاهرة: جامعة القاهرة.
- غبريال، ر. (2020). التحليل النقدي في ظل العصر الرقمي. القاهرة: المركز القومي للبحوث الاجتماعية.